محض خيال

أحمد بلقاسم

محض خيال

قصص

العنوان ..... : محض خيال
الطبعة الأولى ..... : 2020
المؤلف ..... : أحمد بلقاسم
لوحة الغلاف ..... : محمد عجرودي
المطبعة: ..... : نجمة الشرق
العنوان: ..... : شارع الوفاق رقم 109 حي السلام بركان
البريد الإلكتروني: ..... :etoileberkane@gmail.com
الهاتف: ..... : 0536614990
الإيداع القانوني .....: 2020MO5007
ردمك .....: ISBN 8-643-32-9920-978

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

إهداء

الى روحي والدي الطاهرتين..

الى كل الاحبة..

كيل بعير

سمع هسيسا في الشارع كان خافتا في البداية، ثم تحول شيئا فشيئا إلى دبيب مسموع وفي الأخير صار أشبه بضربات متتالية من مطرقة فولاذية على جدار الجيران، ذات صبيحة يوم عطلة. أزاح الغطاء عن رأسه، ترك العنان لأذنه لتستطلع مصدر هذا الدبيب، سرعان ما أشعرته أنه لوقع أقدام، تدخلت الذاكرة لتستجلي من يكون صاحب الوقع والناس نيام؟ قفز من سريره يمشي على رؤوس أصابع قدميه نحو النافذة المطلة على الشارع، رمى عينه عبر فتحة ضيقة فيها، عقدت الدهشة لسانه حين وقع بصره عليها. أسرع متلهفا إلى فتح الباب، تعانقا بحنان وغرقا في عيني بعضهما البعض ما شاء الله. ثم سحبها بلطف نحو السرير الذي مازال يحافظ على بعض الدفء. قبل ولوج الغرفة نظرت إليه وقالت مبتسمة:

- جئتك بمفاجأة؟

- مفاجأة؟

- نعم.

- ما هي؟

- أغمض عينيك.

- طيب.

- لا تفتحهما حتى أكمل العدّ إلى غاية عشرة.

- واحد، اثنان، ثلاثة، .....عشرة.

ثم أخرجت من تحت حمالة صدرها ظرفا لفته بإتقان على شكل سيجار وسلمته إليه، تأمله جيدا، برقت أساريره، تنّحت أخاديد الخمسين سنة من الضنْك جانبا، فاسحة المجال لوميض ابتسامة مقموعة لزمن طويل كي يرسم مكانها آية الفرح الدفين. بعد أن افتض بكارة الظرف، تسللت أنامله على مهل إلى أعماق ما بعد الغشاء

وخرجت ساحبة معها المفاجأة: شيكا بمبلغ مغر جدا كهرب جسده، زادت ابتسامة الفرح عن حدها وانقلبت إلى قهقهة مدوية كاخ كاخ كاخ، انحنى عليها، وضمها إلى صدره من جديد هامسا في أذنها.

– طوبى لك أيتها القطة الجميلة.. وطفق عليها مسحا بالجيد والأطراف..

– الدنيا فرص يجب أن نغتنمها يا حبيبي.

– أنت أفضل من بنت الجيران، التي أرسلت إلى ما وراء البحر لتجلب الدولار من حقول التوت والتفاح، فعادت بوليد أشقر سماه أهلها – ولد العار..

نظرت إليه باسمة وهمست في غنج:

– لو سمحت لشقيقتي بمرافقتي إلى هناك لازددنا كيل بعير..

– إيه نعم، لكن ألا ترين أنها لما تنضج بعد؟

– صحيح ولكن يا أبتي هناك يعشقون الفاكهة قبل نضوجها عشقا لا يقاوم...

يونيو 2015

سيلفي

بعدما دعوته لتناول فنجان قهوة وقبل ان يرشف الرشفة الأولى، كنا قد التهمنا في حديثنا الأوضاع الملتهبة في الشرق الأوسط في ضيعة الأناضول ومروج الشام وفي ضفاف دجلة والفرات، دون أن نغفل حقول القات في اليمن السعيد. وما كاد يمسح لسانه شفتيه بعد الرشفة الثانية حتى كنا قد وارينا الثرى الأوضاع العفنة في مملكتنا السعيدة، حيث سددنا ضربات موجعة لرأس الوزير الأول القاسح حتى سال دمه، كما قمنا بإفراغ حمولة أكياس من القمامة على رأس خضراء الدمن وزيرة البيئة أنعم الله عليها بكل أزبال العالم. وقبل أن يمطط شفتيه ليمتص الرشفة ما قبل الأخيرة، قال لي مبتسما نسيت أن أخبرك أنني عقدت قراني بتلك التي رأيتني رفقتها في السنة الماضية ذات لقاء ثقافي.

– مبروك هنيئا لكما.

– الله يبارك فيك شكرا.

بعد أن أجهز على الرشفة الأخيرة استأذنني مودعا وانصرف. وأنا عائد إلى قبر دنياي رأيته ورفيقة دربه يهمان بالدخول إلى دار قضاء الأسرة. قبل أن يبتلعهما بابها ناديت عليه فالتفت.

– ياك لا بأس؟

– سوء تفاهم بسيط ولكنها أبت إلا أن تجعل من الحبة قبة.

– لا تصدقه يا أستاذي، ليس الأمر كما يزعم.

– ما المشكل إذن؟

– إنه يخونني مع..

– يا لطيف؛ ما هذا الذي أسمعه يا رجل؟

– ليست خيانة بمعنى الخيانة التي تعرف، إنما أردت الارتباط على كتاب الله وسنة نبيه بأخرى أطول منها قامة.

– ما العيب في هذه ما دمتما متزوجين؟

– يا سيدي إنه يعيب على قصري، فما انفك يعيرني صباح مساء بكوني قصيرة جدا، وأن ارتفاعي لا يتعدى الميليمتر عن سطح البحر.

– أصحيح ما تقوله يا صديقي؟

– للأسف نعم، وأنا أرغب في الزواج بمن هي أطول منها قامة وشأنا.

– قامة وشأنا، ومن هذه التي سترضى بها ضرة لشريكة حياتك؟

– الرواية..

– ماذا؟

–كما تسمعان الرواية هي التي ستكون شريكة حياتي.

حاولت إصلاح ذات البين وإعادة المياه إلى مجاريها لكن صاحبي أصرّ على موقفه وركب رأس معاندا:

– أنا قرأت لمحفوظ وغارسيا وزفزاف وحنا مينا و بلند الحيدري وطه حسين و دوستويفسكي..و.. صار يتلو

علي أسماء من أعرف ومن لا أعرف بسرعة كواصف رياضي يلهث وراء كرة، حتى قلت ليته سكت، والمسكينة بجانبي تقفز غيرة وحنقا، حتى أنها كانت أحينا ترتفع عن مستوى سطح البحر أكثر من ثلاث سنتيمترات.

– هذا جميل يا صاحبي قد يفيدك في إطعام زوجتك القصيرة جدا خيرا وزيادة، وتظهر للعيان تفوح حسنا وبهاء.

– نعم كل ما تفضلت به صحيح ولكن يحرجني أن تستعين رفيقة دربي بكعب عال لتلتقط سيلفي بجانبي. هذا فراق بيني وبينها، هذا ما لم أستطع عليه صبرا..

2016 –06– 24

أفراح

توقفتُ عن السير برهةً من الزمن، أخذتُ ملءَ رئتي شحنةً من الأكسجين، وعيناي على اللافتة الإشهارية "صالون أفراح"، أحسستُ بتقاسيم وجهي الجافة تَستعيد طراوتها شيئًا فشيئًا، ما كاد ثغري يفتر عن ابتِسامة مجهولة الهُويَّة، حتى سمعته يَهمس في أذني معاتبًا:

- بهذه السهولة توَدُّ التخلُّص مني؟

- مجرَّد خاطرة خطرت ببالي.

- إمعانك النظر فيها بهذا الشكل يَشي بذلك.

- إمعاني النظر في من؟

- فيها هي.

– في مَن؟

– لا تُحاول استغفالي، إنها فتَنتْكَ فُتونًا يا خليلي.

– يا هذا، أَفصِح؛ عمن تتحدث؟

– لا تُحاول خداعي، وقل لي: من أين لتقاسيم وجهك بهذا الصفاء والإشراق؟

– قلتُ لك: مجرَّد خاطرة خطرت ببالي وكفى!

– وماذا عن الابتسامة التي تلألأت في ثغرك؟

– مجرد حركة عابرة، حدثٌ عارض لا أقل ولا أكثر.

– عهدتك وفيًّا مخلصًا لي طيلة حياتنا، فكيف تفكِّر في قطع حبل وصالنا بعد هذا العمر المديد من عشرتنا، نظرة واحدة منك إليها فاستأثرَتْ بلُبِّك، وكانت كافية لتدُكَّ صرح الأربعين سنة من الأُلفة!

- لم تقل بَعدُ، من هذه الفاتنة التي تزعم أنها استحوذت على لبِّي؟
- عندما تُشيح بوجهك عنها وتلتفت إليَّ، أقول لك من تكون.
- ها أنا قد فعلت.
- أفراح!
- أفراح! عن أية أفراح تتكلَّم يا هذا؟
- ألا يعود الفضل لها في افترار ثغرك عن أسنانه، واكتساحِ مسحة واسعة من الابتهاج محياك؟
- دعني مِن الألغاز، قل لي: ماذا تقصد دون مواربة؟
- بل قل لي أنت: لمَ تَنوي هجراني؟ هل أصبحت كلًّا عليكَ يا رفيق دربي؟!
- أنا ما زلتُ على مودتي بك يا توأم روحي!
- هل أنت صادق فيما تقول؟

- صادق كل الصِّدق.
- هل فعلًا لم تُصبك أفراح بسهم من سهام الودِّ الدفين؟!
- عمن تتكلم؟
- أفراح هذه – وهو يشير إلى لوحة الصالون الإشهارية التي كُتب عليها بخط أنيق "صالون أفراح" – أليست هي التي استوقفتْك، ورشقْتَها بنظرة عميقة تمزَّقت لها نياط فؤادي خشية أن تَستبدلني بها؟!
- يا لك من غيور!
- طمئني يا عزيزي.
- اطمئنَّ يا توأم رُوحي، يا حُزني العميق!
- صحيح؟

وقد تهلَّل وجهه الكئيب.

- أنى لي أن أتخلى عنكَ، وشهاداتي الجامعية التهمتْها نيران اليأس، والأمل اغتاله الانتظار؟!

نَمْ قريرَ العين يا حُزني العتيق، نم إلى جوار إخفاقي، لا تَستفِق.

4 يوليوز 2016

محض خيال

تنويه: هذا النص لا علاقة له بالواقع، وأيُّ تشابُه في الأحداث أو الأسماء فهو محض مُصادفة.

هبْ أنك كاتبُ رِوايةٍ أو قصَّةٍ قصيرةٍ، ولقد مرَّت مرحلةُ المخاض رغم عُسْرها بسلام.

- أقُلتَ: مرحلة المخاض؟!
- نعم!
- أي مخاض؟
- مخاض الإبداع.
- آه فهمتُ.
- ومرَّت أيضًا مرحلة الولادة رغم عُسْرها بسلامٍ، ودون اللجوء إلى مِبْضَع العملية القيصرية.
- أقُلتَ: الولادة؟!
- نعم!

- لم أعُد أفهم شيئًا.
- أقصد بالولادة خروج المؤلَّف – روايةً كان أم قصَّةً – إلى الوجود.
- لنفرض أن المطبعة وضعتْه بسلامٍ وبدون مِبْضَعٍ ولا مشرط.
- وبعد حين من الدهر تسمع قرعًا على باب بيتِكَ...
- سأقوم لأستطلِعَ مَن الطَّارق، ثم أفتح له الباب مُرحِّبًا به.
- هبْ أن الطارق هم رجالُ الشرطة.
- سأستفسر منهم عن سبب الزيارة.
- هبْ أنهم طلبوا منكَ أن تُشرِّفَهم بحضوركَ إلى القِسْم.
- سأفعل ما دامت كرشي خاليةً من أية عجينة، وليس في طنجرتي ما أخاف عليه من الاحتراق.

- هبْ أنهم أبلغوكَ أنه لا بدَّ من مثولِك أمام المحكمة بتُهمة السبِّ والقَذْف في حقِّ شخصٍ أو مجموعة أشخاص والتشهير بهم.
- سأنفي هذه التُّهمة ما دام لساني بريئًا منها.
- هبْ أنهم تلَوا على مسمعِكَ صكَّ الاتِّهام مُعزَّزًا بالوثائق، وبحضور الأشخاص الذين قيل لك: إنك سلَّطْتَ عليهم نيران وحُمَمَ لسانِكَ.
- سأرفع يدي وأقسم أنني لن أقول إلَّا الحقَّ، وأنفي هذه الاتِّهامات جُملةً وتفصيلًا.
- هبْ أن هؤلاء الأشخاص يأتونكَ بأسماء أبطال قصَّتِكَ أو رِوايتِكَ، ويُقسمون بأغلظ الأيمان أمام القاضي أن المسمَّى فلانًا في النصِّ ما هو إلَّا فلانٌ هذا الماثل أمامَكَ، والمسماة فلانة ما هي إلا للّا أم الخير هذه المكسوفة الحال في دار الشرع هذه، وأما التي سميتها في نصِّك زوجة سيدي ومولاي، ها هي حية تُرزق أمامَ عينيكَ، وأن الأمكنة الواردة في النصِّ بأسماء كذا وكذا، في الواقع ما هي إلا

عمارة الحاج فلان، وضيعة للّا فلانة، وفيلا سيدي فرتلان.

- سأقول لهم: إن أسماء الأشخاص والأماكن الواردة في النصِّ، هي من محض المصادفة، ولا تمتُّ لأي أحد أو مكان بأية صِلة.

- هبْ أن أحدهم قال لكَ: إن الشخص الذي استحوذ على قطعة الأرض الكائنة في دوار كذا بطُرق غير مشروعة هو فلان، وأنت سميتَه في النصِّ فلانًا، وإن التي ارتكبتْ جريمة كذا في نصِّكَ في المكان الفلاني هي فلانة، والمكان هو مكان كذا.
- في هذه الحالة ستكون المحكمة قد وصلت إلى الحقيقة.
- أية حقيقة؟
- حقيقة هؤلاء الأشخاص الذين جرُّوني إلى قفص الاتِّهام.
- هبْ أن المحكمة قرَّرت إدانتكَ بما نسبته إليكَ شخصياتُ إبداعِكَ.
- سأرفع يدي وأُقسم...

حكمت المحكمة بالجلسة العلنيَّة المنعقدة يومه وحضور السيد..في القضية المقيدة بجدول المحكمة ..برقم.. على.. بتاريخ.. بعد لاطلاع على.. والمداولة.. حيث إن الدعوى استوفت أوضاعها الشكلية، وحيث.. موضوع الدعوى.. المقرر قانونا وفقا لحكم المادتين رقمي.. ولما كان ما تقدم، وكان الثابت.. حكمت المحكمة بقبول الدعوى شكلا.. وفي الموضوع.. طبقا لمقتضيات الفصل.. حضوريا.. بالسجن.. مع وقف التنفيذ، وأداء غرامة مالية.

– ما هذا يا هؤلاء؟..ماذا دهاكم؟ أنا بريء. السجن أحب إلي مما تتهموني به.

10 غشت 2016

دوباج

ما كذب من قال إننا نعيش في زمن العجائب والغرائب، ناهيك عن الحروب والمصائب، من يصدق أن تناول المنشطات هو أمر متروك للرياضيين فقط. فمؤخرا سألت صاحبي القوقجي الجديد عن مجموعته القفجية التي التهمت في كتابتها من وقته الثمين، ما يقطعه البطل العالمي الجمايكي أوسين بولت في سباق المئة متر.

– هل دفعت مجموعتك لدار النشر؟

أجابني بصوت خفيض.

– نعم.

قبل أن يحور الكلام عن حالة الطقس ومباراة الديربي، عالجته بسؤال ثان.

– متى سنحضر عقيقة قفجياتك؟

– لن أحتفي بهن أبدا.

– وهل تريد وأدهن؟

– ذاك ما أزمع فعله لقد خيبن ظني بنات الكلب.

– ماذا حدث؟

– دار النشر رفضت نشرهن..

– بأي ذنب؟

– بعد أن أخضعن للفحص في مختبر السرديات، تبين أنهن تعاطين للمنشطات.

– منشطات!

– بمعنى أنني حقنتهن بحبر غيري من الكتاب..

– يعني؛ لا حياء في أدب اتهموك بالسرقة الموصوفة لكتابات غيرك؟

2016 08 18

ليتني كنت شاعر

كلما لا قتني الظروف به وتجاذبنا أطراف الحديث في شتى المواضيع إلا وشنف سمعي بقوله: ليتني كنت شاعرا ويزفر زفرة مديدة ثم ينصرف. ذات مرة قطعت حبل زفرته المديد سائلا إياه:

– لم تتمنى لو كنت شاعرا؟

– خمن أنت لماذا؟

– لتستميل قلب حبيبتك.

– لا (وهو يبتسم)

– لتؤلف ديوان شعر وتكون لسان المدينة؟

– لا وألف لا.

– ليقال عنك أمير أمراء الشعر.

– لا (بحركة من رأسه)

– لتتحول بقدرة قادر إلى كائن روائي وتظفر بنوبل للآداب.

– لا لا لا.

– لتشن غارات عنيفة من الهجاء على خصومك.

– أبدا لا.

– لتبيد كلمات الأغاني الرديئة بقصائدك الجيدة.

– ولا هذا هو السبب.

– اللهم إني أعترف لك بخيبة تخميني هيا قل لم تتمنى لو كنت شاعرا؟

– لوكنت شاعرا: لأعددت للوزراء سما ناقعا ** فسقيت آخرهم بكأس الأول.

– فقط؟

– ليتني كنت شاعرا آآآآآآآآآآآآآه

– وماذا عن الوزيرات؟

– آآآآآه ليت لي شاعرة.

31 غشت 2016

نصيحة

ملت إليه بصفحة الجريدة قائلا:

- اقرأ هذا الخبر؟

- أي خبر؟

- خبر حول الوضع في منطقة.

يا صديقي خذها مني نصيحة؛ ولا تأخذها مني قلة صواب: اترك السياسة للسياسيين، كما تترك الصحة للأطباء، والغذاء للفلاحين، والبيع والشراء للسماسرة والتجار، والطرب للمطربين، والرياضة للرياضيين، والتعلّم للمعلمين، وأعطاب السيارة للميكانيكيين، والعمران للبنائين.

واستمرّ يذكر الشيء تلو الآخر ومن هم أدرى بشعابه، والجريدة تتكمش في بدي رويدا رويدا، وأنفاس صاحب

الخبر تتصاعد بين أناملي حسرات.. اترك الثوب للخياطين والخشب للنجارين. حتى قلت ليته سكت.

– أجل صديقي سأفعل إن شاء الله الرحمن الرحيم وأترك الحديد للحدادين، والموتى للغسالين والبحر للحراكين، والمناصيب للمقامرين.. والرشوة للمرتشين والسجن للسجانين.

– ها أنت ذا أصبحت مثقفا عاقلا واعيا.

– و أنت يا حبيبي أنصحك نصيحتين لو تفضلت.

– تفضل صديقي الدين النصيحة يقول الحديث في هذا الصدد: تناصحوا..تناصحوا..تناصحوا..

– ما علينا لا تتعب نفسك عزيزي أعرف تتمة الحديث.

– ذكرني به جزاك الله خيرا.

– تناصحوا في العلم، فإن خيانة أحدكم في علمه أشد من خيانته في ماله، وإن الله سائلكم يوم القيامة.

– تماما، الآن سأودعك.

– أجل لكن ليس قبل أن تسمع نصيحتي.

– تفضل، تفضل، ما أنسانيها إلا الشيطان أخزاه الله.

– النصيحة الأولى أنصحك أن تترك الأدب للأدباء.

– هممم والثانية؟

– أنصحك أن تترك الدين لله.

وأخيرا سكت وانصرف، وهو يستعيذ بالله من الشيطان، والنادل في إثره يسأله دفع ثمن قهوته.

21 دجنبر 2016

لماذا تكتب؟

وهو يسلمها نسخة من مخطوط مجموعته القصصية الجديدة؛ سألته سكرتيرة المطبعة بعدما تصفحت أوراق المخطوط بنظرة شاملة، تروم من خلالها معرفة عدد الصفحات إجمالا.

– أستاذ هل تسمح لي أن أسألك سؤالا؟

– تفضلي.

– لماذا تكتب؟

– سؤال كبير؛ والإجابة عنه تختلف من كاتب لآخر، لكن لا بأس من أن أدلي بدلوي لأجيب عنه؛ وأرجو أن أوفق في ذلك، ببساطة فأنا أكتب لأساهم في اقتصاد البلاد فقط.

– تساهم في اقتصاد البلاد بالكتابة ههه..

– لم تضحكين؟

– لأنك بجوابك هذا، تذكرني بعبارة إشهارية قديمة على صفحة علبة عود الثقاب وجدتها مؤخرا بين التحف النادرة التي يحتفظ بها أبي في دولابه إلى جانب ساعته اليدوية دوغما.

– أجل؛ بالكتابة سأحرك من جانبي عجلة التنمية في هذا البلد.

– لو تفضلت بشيء من التفصيل.

– ما علينا سأشرح لك هذا.

– شكرا أستاذ.

– عندما أطبع الكتاب، سأوزعه على المكتبات أليس كذلك؟

– طبعا، طبعا.

– طيب؛ آنستي تذهبين إلى المكتبة؟

– مسألة مفروغ منها.

– جميل.

– الله يجمل أيامك.

– العفو؛ عندما يسرق نظرك عنوان كتاب من المحتمل أنك ستقتنيه، أليس كذلك؟

– طبعا، طبعا سأشتريه.

– جميل؛ وعندما تأخذينه ستقرئينه أليس كذلك آنستي؟

– طبعا، طبعا سأقرؤه.

– حسنا؛ من هنا سيبدأ دوري في المساهمة في اقتصاد البلاد،وستكونين أنت ومجموعة من الأشخاص ضمن هذا المشروع.

– طبعا، طبعا..لكن هلا شرحت لي كيف؟

– طبعا، طبعا..لكن ليس قبل أن تصحبيني إلى السيد غارسيا ماركيز لننتزع منه جوابا على سؤالك هذا، مارأيك؟

– طبعا، طبعا؛ أوافقك الرأي.

– هيا بنا؛ لعله يكون الآن قد استفاق من قيلولته، فهو يقيل كل يوم تحت شجرتي التوت العملاقتين الوارفتي الظلال على سريره الهزاز.

– سرير هزاز!

– طبعا، طبعا لا؛ لنقل سريرا أرجوحة.

– أرجوحة!

– طبعا، طبعا لا؛ لنقل قطعة قماش مشدودة من طرفيها إلى جذعي شجرتين، هل فهمت؟

– طبعا، طبعا لا..

– لا!

– بل نعم.

– ها قد وصلنا إنه مستيقظ ومستغرق في القراءة، يمكنك أن تسأليه بنفسك.

– طبعا، طبعا سأسأله بنفسي، لكن أخشى أن أزعجه وهو مستغرق في القراءة..

– لا عليك؛ ليس الحال كما لو كان منهمكا في الكتابة.

– عمت مساء سيدي.

– مرحبا؛ تفضلا هل من خدمة؟

– أريد فقط أن نعرف لماذا تكتب؟

– أكتب لكي أنال المزيد من حب أصدقائي.

.2017 6 18

هذا فراق بيني وبينك

فيما مضى من الزمان؛ كنت أكتب ويدي على قلبي مخافة ألا يفهم القارئ ما أكتب، أما الآن وابتداء من هذه اللحظة الفاصلة فسأكتب ويدي في جيبي لا خوف على قلبي ولا على القارئ، لن أكترث به أفهم أم لم يفهم ما أكتبه؛ متسلحا في ذلك بسلاح عتيد سلاح الحداثة والنقد من صنع النقاد الجدد نقاد ما بعد الحداثة الذين ينقبون في المتون عن كل شيء إلا عن المعنى.

كم هو جميل أن تكتب كتابا من ألف صفحة وصفحة، تكون بدايته هي نهايته ولا لب له، لن تشعر بأي حرج وأنت ترد على القارئ بصدر منتفخ :

– تريد أن أوضح لك ماذا أقول في هذه الصفحة وما بعدها؟

–أجل.

–اقرأ وكفى ولا تبحث عن المعنى.

–لم أفهم شيئا.

– يبدو أنك قارئ غارق في مستنقع الكلاسيكية.

– ماذا؟

– ألا تدري أننا نحن معشر الأدباء قد تجاوزنا عصر الحداثة بكم سنة فكرية؟

– .... !

– حرر عقلك، أرح نفسك من عبث البحث عن المعنى وعن الفهم.

– ..... !

– نحن في عصر ما بعد الحداثة يا هذا!

-. ....!

- هيا واصل القراءة بالصحة والراحة، كتابي القادم سيريحك حتى من تعب عينيك..

- كيف؟

- باستثناء العنوان واسم المطبعة وتاريخ الطبع واسم المؤلف التي ستجدها في الصفحة الأولى منه، ستكون الصفحات الالف الأخرى صفحات بيضاء لا كتابة فيها..

- بيضاء؟

- نعم؛ بيضاء كالثلج تثلج العقل والصدر تسر الناظرين، الفضل كل الفضل في هذا يا هذ يرجع لجيل ما بعد الحداثة..

- أريد أن أفهم.

- ألم أقل لك لا تبحث عن الفهم.

- أريد أن أعرف ما ذا يعني؟

- يبدو أنك غبي ومكبل بأغلال الكلاسيكية العقيمة.

- يعني..

- هذا فراق بيني وبينك.

- أريد فقط أن أعرف..

- لن أنبئك بما لم تستطع عليه صبرا..

24 يناير 2017

حراك

بعد إفطار هذا اليوم بقليل؛ التقت القصة القصيرة بالقصيدة كما في الموعد الذي اتفقتا عليه دون تأخير ولا تقديم، حيث قررتا الذهاب إلى ميدان الحراك ولكل واحدة منهما دوافعها الخاصة بها لحضور حراك هذا المساء لا يعلمها إلا الحق سبحانه، بعدما أصبح الحراك أشهر من نار على علم.

وهما في طريقهما إلى محج المتظاهرين، صادفتا السيدة الرواية واقفة عند باب منزلها وكأنها تنتظر أحدا ما، فبادرتهما بالتحية وردتا عليها بتحية أحسن منها، وبعد دردشة قصيرة سألتهما عن سر خروجهما في هذه العتمة؟ ردتا بخفة وبلسان واحد، وكأنهما شقيقتان توأمان:

– نحن ذاهبتان إلى ميدان الحراك يا عمة!

– إلى ميدان الحراك؟

سألت السيدة الرواية فاغرة فاها في اندهاش.

– هل في الأمر ما يثير دهشتك عمتو!

– يا للمفارقة العجيبة؛ أنا بدوري أريد الذهاب إلى هناك، كنت فقط أبحث عن رفيق..

– معك حق الرفيق قبل الطريق.

قالت القصة القصيرة باسمة.

– يسرنا مرافقتك لنا عمتو.

قالت القصيدة.

– الحمد لله الذي جمعني بكما من غير موعد.

توسطتهما السيدة الرواية ماسكة كل واحدة منهما بيد، وانطلقت بهما نحو الميدان هامسة في آذانهما:

– يجب الانتباه إلى المطبات حتى لا يخيب مسعانا.

– أية مطبات تقصدين عمتو، فالدرب سالك ومعبد؟

سألتها الصديقتان.

– عفوا عفوا صغيرتي؛ أقصد الحواجز المخزنية.

– شكرا عمتو؛ نرجو من الله ألا نقع في فخاخ المخزن حتى لا يخيب أملنا في بلوغ هدفنا.

قالتا بلسان واحد. قبل وصول الميدان المقصود تناهى إلى سمع الرفيقات الثلاثة هدير الحناجر وهي تصدح بالشعارات، فشرعن في طي المسافة المتبقية لخط الوصول طي الكتاب، في رأس أحد الأزقة لاحظن قطعة من الليل تتحرك نحوهن، وإن هي إلا لحظات وجيزة حتى أمسكت يد كومة الظلام بتلابيبهن، وشرعت تستنطقهن دون مقدمات:

– إلى أين أنتن ذاهبات في هذه العتمة؟

– إلى ميدان الحراك.

ردت القصة القصيرة والقصيدة ودائما بلسان واحد، بهذا البوح الصريح لم يتركا الفرصة للسيدة الرواية كي تناور للتهرب من الجواب.

– لم تردن الحضور إلى الحراك؟

– أنا ذاهبة للبحث عن أحد أبطالي قيل لي إنه هناك.

ردت القصة القصيرة على عجل.

– وأنا أرغب في استكمال أحد أبياتي، أريده أن يكون هو واسطة العقد.

أجابت القصيدة. وبعد شيء من الصمت قالت الرواية:

– أما أنا؛ فأروم التنقيب عن حدث تاريخي مؤثر أريده أن يكون أبرز أحداث فصولي الخمسة.

بعد الاستماع إلى أجوبتهن، أو بالأحرى إلى سر الرفيقات الثلاثة اللائي حافظن عليه طيلة رفقتهن، قالت كومة الظلام:

– وأما أنا؛ فأنا المخزن، متى أرفع الهراوة تعرفنني، لكن لا بأس من أن أسدي لكن خدمة جليلة تلبية لرغبة كل واحدة منكن..

قاطعنه متوجسات:

– كيف ذلك؟

– سأوفر عنكن عناء الزحام والتدافع والكر والفر في ميدان الحراك، لأبعثكن على جناح السرعة إلى ميدان عكاشة هناك؛ أكيد ومؤكد تتحقق رغبتكن.

11 يونيو 2017

أبو عرف ملكي يفقد وسامته

في إحدى الضيعات النموذجية كانت دجاجة تتقاسم العيش في سلام مع حفيدها أبي عرف، رفقة ثلّة من البهائم؛ فرس وبغل وحمار يكنى بأبي حافر، وبضع خرفان، لكل منهم عمل يقوم به أحسن قيام، طبعا تحت إمرة رب الضيعة. فالبقرة وظيفتها أن ترعى جيدا في أطراف المزرعة، لتحلب في الصباح الباكر وينتفع بحليبها رب الضيعة وأهله ماديا وغذائيا، أما الحصان فمهمته هي جر عربة سيده ذهابا وإيابا إلى السوق الأسبوعي للتسوق، وفي بعض الأحيان كان يحمل صاحبه حين يرغب في زيارة أحد الأقارب أو الأصدقاء. بينما أنيطت مسؤولية الحرث والدرس بالبغل، وأسندت مهمة جلب الماء من البئر إلى أبي حافر، فضلا عن تحريك حجر طاحونة الزيتون لعصره حين قطافه، وتكفلت الخرفان بتسميد التربة بروثها، في حين اهتمت الدجاجة بتزويد

الأسرة بالبيض، وتجشم الديك مزهوا بصوته عناء إيقاظ أهل الضيعة من النوم قبل كل إشراقة شمس، لينهض كل ذي عمل إلى عمله، ويتفرغ هو إما إلى البحث عن بذور بعض المزروعات، أو النبش في الأرض للظفر ببعض الديدان، ثم يخلد بعد ذلك للراحة حتى ميلاد فجر جديد.

استمرّت الحياة على سجيتها في الضيعة رغم رتابتها، إلى أن ظهر جار جديد للضيعة، حيث تغير نمط العمل فيها رأسا على عقب؛ ذلك أن الديك المسؤول عن تدبير الزمن أخلّ بالمهمة المنوطة به؛ إذ لم يعد يضبط موعده لإيقاظ الجماعة في الوقت المحدد مع إشراقة كل صباح، فكان تارة يوقظها في منتصف الليل، وتارة أخرى يوقظها في وقت الضحى، الشيء الذي عرضه للتعنيف من صاحب الضيعة، كما جعله مثار شكوك قوية وسط الجماعة؛ فمن قائل أصابه مسٌّ من الشيطان، أوجُنّ جنونه، إلى قائل إنه يتعاطى للمخدرات. رغم الريبة التي أثارها حوله، لم يبح لأي كان عما ألمّ به، وإن حاول العودة

إلى جادة الطريق، بأن صار يؤدي عمله كما في سالف عهده بالضيعة. بيد أنه لم يفلح في صدّ النظرات المريبة إليه ممن حوله، كما لم يستطع إقناع الجماعة باعتباره كائنا سويّا، يتمتع مثلهم بكامل قواه العقلية، ويبحث مثلهم عن مكان آمن تحت الشمس. أنّى له ذلك وقد عمّق تواريه عن أنظارهم بين الفينة والاخرى، هواجسهم إزاءه. ذات مرة اقتحم الحمار خلوة الديك ودنا منه شيئا فشيئا نفض هذا الأخير ريشه وسوى بحركة خفيفة عرفه، ثم قال للوافد عليه:

- – هل جئت لتذكرني من جديد بضرورة احترام أوقات الإيقاظ، اطمئن لن أخلّ بواجبي مرة أخرى.
- – لا ليس لهذا الغرض جئتك يا صديقي!
- – فلم جئت إذن؟
- – جئت لأطرح عليك سؤالا أصالة عن نفسي ونيابة عن الجماعة، طالما أرّقنا جميعا.
- – على الرحب والسعة تفضل أبا حافر.

– لقد لاحظنا أنك لست على أحسن ما يرام، إذ لم تعد ذاك الديك الحيوي الذي يملأ الضيعة مرحا ونشاطا، بصياحه في الأوقات المعتادة، وبحركته الدؤوبة من مكان إلى آخر، لا شك أنّك تعاني من مشكل ما؟

– أشكر لك اهتمامك بي، اطمئن أنا بخير والحمد لله.

– يا صديقي قل الحقيقة ولا تحاول المراوغة، وهذا عرفك قد امتقع لونه!

– أما وقد ألححت على معرفة سبب علّتي، فسأبوح لك بحقيقة ما ألمّ بي شريطة ألا تطلع الجماعة عليه.

– أعدك، أن أدفن سرّك في صدري إلى الأبد، هيا أخبرني قبل أن ينادي عليّ ربّ الضيعة.

– كلّ ما في الأمر، هو أنني ذات مرّة وأنا أتجول بين أشجار التين التي تسيّج حقل الذّرة؛ أغرتني إحدى الثمار بنضجها وببروز لبها الأحمر القاني، كما أغرت فاكهة الشجرة الملعونة سيدنا آدم، فصعدت بسرعة لالتهامها، وبينما أنا أنزل أدراجي إذ بي ألمح سربا من الدجاج في

الضيعة المجاورة، ودفعني نزقي وحبّ الاستطلاع، إلى تسوّر السياج الفاصل بين الضيعتين، لأجد نفسي بينهن، ليتني ما فعلت ذلك ليتني ما فعلت..

فجأة أطرق الديك رأسه وتحشرج، إلى أن همس أبو حافر في أذنه مواسيا؛ على رسلك يا صاح، هون على نفسك، أرجوك أكمل الحكاية

– وأنا وسطهن، رشقتني إحداهنّ بنظرة كالسهم، حرّكت نياط فؤادي وأحرقت حناياه، فلم أدر ما أصابني، فأحسست بميلي الشديد نحوها دون سائر بنات السرب، وبدون تفكير صرت أقدم لها الحبّ من منقاري إلى منقارها، فتلتقطه هي بغنج ودلال، الشيء الذي زادني افتتانا بها، إلى درجة الهيام.

– أنت محظوظ يا صديقي؛ إذ استطعت أن تنسق بين الحَبِّ والحُبِّ في مناسبة واحدة، ليت الحظ يبتسم لي كما ابتسم لك، فأجد من أبادلها الحبّ بالتبن والشعير، اعذرني عن مقاطعتي لكلامك، فأنا أغبطك.

– من حسن حظي، أن السرب لم يوجد فيه قائد يتدبر شؤونه، لعلّ هذا ما جعل نوار الفول اليافعة ذات المنقار الذهبي، والجيد المكتنز، والأظافر العاجية، والعرف القرمزي الناتئ، والريش الرمادي السميك الناعم ذي الندف البيضاء، تغدق عليّ من الحبّ ما جعلني أفقد أحيانا صوابي وأخلّ بعملي المعتاد في الضيعة، هذا كلّ ما في الأمر يا صديقي !

– الآن اطمأن قلبي على حالتك، وعرفت سرّ اهتمامك بعرفك الملكي، وأنت تغادر خفية الضيعة إلى وجهتك المنشودة، دمت سعيدا.

– يا لقوة ملاحظتك يا أبا حافر شكرا على الاهتمام، دمت مخلصا.

لتبديد الشكوك من حوله، استعاد أبو عرف ملكي نشاطه بين الجماعة كما في سالف عهده، بيد أنه لم يستطع التخلص من مسحة من الشرود الذهني، والتفكير في ملاقاة الحبيبة متى سنحت له الفرصة بذلك. كما ازدادت

عنايته بعرفه القرمزي أيّما عناية، دون إغفال نظافة هندامه المخملي، هكذا قضت مشيئة الله، أن يستعيد العاشق عافيته وحياته الطبيعية بين جماعته، وأن يشبع حالته الوجدانية بعلاقته الغرامية مع عشيقته بعد انسجامهما وتوافقهما في كل شيء.

وما إن توطدت العلاقة بين العاشقين، حتى وفد على جماعته ضيف جديد، ضيف من عائلته؛ إنها دجاجة برقبة عارية، وريش شبه منتوف فقد لونه، ورجلين عقربيتين شديدتي الصلابة، لم تلق من ابن جلدتها في الضيعة اي ترحيب أو اهتمام يذكر بعد الثلاثة أيام الأولى من الضيافة، إذ اعتبرها فردا عاديا من أفراد أسرة الضيعة.

لكن الوافدة الجديدة أسرتها في نفسها ولم تبدها له، وراحت تتعقب خطوات زميلها في الضيعة، وتبحث عن سرّ صدوده عنها إلى أن وجدته، فاكتشفت حقيقة ارتباطه ببنت الجار، فاندلعت نار الغيرة في صدرها حتى كادت تأتي على ما تبقى فيه من ريش. ودون إبطاء

فكرت في الكيد له، واتبعت الفكرة العمل؛ فبينما هو يغط في نومه ذات ليلة بعد عودته من زيارة الحبيبة، عمدت إلى نشب مخالب أصابعها الحادة في رأسه، تروم اقتلاع عرفه منه، سرّ انجذاب الغير إليه، وبالفعل لم يستطع النائم المتيم أن يفتكّ رأسه من بين مخالبها الحادة المعقوفة، إلا وتاجه بين رجليها. وحتى لا ينتقم منها ويشكوها لربّ الضيعة، بادرت بالاعتذار له وهي تذرف دموع الأسف على ما بادر منها وتتعوذ من الشيطان الرجيم، معلّلة ذلك بأن كابوسا مزعجا هو السبب. ولأن قلب العاشق سموح كظم غيظه، ودارى صلعته وهو حسير بحزن عميق، وانشغل بالتفكير بأي رأس سيقابل توأم روحه؟ قبل أن ينتشر خبر فقدانه لتاجه، ويصل إلى أميرة أحلامه، تسلل خلسة إليها ودون إطالة قال لها بإيجاز شديد:

– أنا شقيق صاحب العرف الملكي.

– مرحبا بك.

– جئت أحمل إليك رسالة منه.

– ماهي؟

– هاك اقرئيها.

ما كادت تودعه حت شقت غلاف الرسالة لتقرأ فيها ما يلي:

توأم روحي الغالية؛

إنه لمن دواعي الأسى والحزن العميق، أن أخبرك بأنني أصبت بعارض صحي قد يلزمني الفراش لمدة قد تطول بضعة أشهر، وفي انتظار أن يمنّ عليّ المولى بالشفاء والعافية، تفضلي أيتها العزيزة بقبول فائق حبي وتقديري.

الإمضاء حبيبك أبو عرف ملكي.

يوليوز 2019

موطئ حبة بن.

قبل أن أشد الرحال إلى مسجد الحي لأداء صلاة الجمعة قالت لي أم الخير:

– ها هو ذا المؤذن يؤذن الأذان الأول وأنت لا تزال تعبث بهاتفك، فمن المستحب أن تذهب إلى المسجد باكرا.

– لن أذهب حتى يفرغ الخطيب من خطبته ويشرع المقيم في إقامة الصلاة.

– أستغفر الله العظيم.. اتق الله يا رجل.. استعذ بالله من الشيطان الرجيم.

– أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم.

– هيا توكل على الله وقم أجب المنادي.

– يا أم الخير؛ لم العجلة فموضوع الخطبة أعرفه سلفا.

– هل أطلعك عليه الخطيب؟

– لا؛ ولكن أعرف أنه سيخوفنا من مغبة الذهاب إلى البحر ومن مغبة إطلاق العنان للعيون لتسرح وترتع في لحوم النساء النيئة.

– نعم الخطبة هذه.

– ولكنها لا تعنيني في شيء.

– كيف لا تعنيك، أو تبرئ نفسك؟

– تريدين أن تعرفي الحقيقة؟

– أجل.

– الحق الحق أقول : الشقي الشقي من كان بصره أضعف من بصري أقل من ستة على عشرة.

– اللهم يا فالق الحب والنوى، أحمدك على أن أعطيت لكل امرئ منا ما نوى.

ما إن سلم الإمام حتى مرقت من المسجد مروق السهم من القوس، عرجت على اللبان على اللبن البارد يلطف من حرارة القيض والبحر ويصرف نظري عن اللحم المشوي فوق رمال الشاطئ، دخلت المنزل أتصفد عرقا، استقبلتني أم الخير سائلة:

– ما بك تلهث؟

– خذي اللبن وأنقذيني بشربة ماء.

– ما الخطب؟

– لقد صدقت نبوءتي يا أم الخير.

– أية نبوءة يا رجل؟

– لقد كانت الخطبة كما قلت لك آنفا، كانت بمثابة إشهار لفيلم إثارة سيعرض في قاعات السنيما قريبا..

الصيف والبحر.. الحرارة والبحر.. العري والتدليك.. التدليك رجل امرأة.. التدليك امرأة رجل.

– ويحك يا رجل لا تسخر من ورثة الأنبياء.

– بل ويحه هو.

– اتق الله يا رجل فلحم العلماء مسموم.

– لقد تدارك الموقف فرغم فتنة البحر وما حوت لم يفته أن يخصص حيزا مهما في دعائه في هذا اليوم المبارك لأهل العراق والشام بالنصر المكين. لست أدري لم تذكرهم اليوم واليوم بالضبط؛ عكس خطبه السابقة حين كان الظلام يبسط جناحه على أرض الهلال الخصيب، لم يكن يأبه بهم البتة.

– أكيد أنه دعا إلى أهل اليمن السعيد أيضا بأن يستعيدوا سعادتهم السليبة.

– هذا ما لم يفعله ولم يخصص لهم ولو موطئ حبة بن في دعائه.

- وماذا عن فلسطين؟
- فلسطين؟
- أجل فلسطين؟
- فلسطين عربية بلا حلول استسلامية.

14 يوليوز 2017

يقطينة.

لم يكن يدندن أبدا بأية أغنية سواء كانت شعبية أم عصرية، أمازيغية أم عربية، غربية أم هندية، لا أحد من المطربين عربيا كانوا أم أعجميا استطاع أن يحرك عظامه وجعله يطرب ويرقص ولو بتحريك رأسه في رقبته. كنا نقول عنه إن رأسه أجوف (قرعة)يعني يقطينة..

ومع ذلك استطاع صاحب الرأس اليقطينة، أن يعبر إلى الضفة الأخرى من المتوسط، الذي كنا نتنافس في مراوغة أمواجه في شاطئ *السعيدية ونتباهى بتقدمنا في أعماقه، إلى الحد الذي يغمرنا فيه الماء كليا، لنبرهن له أي للرأس اليقطينة؛ أن رؤوسنا عامرة، بينما يظل هو قابعا حيث يعوم الأطفال إلى جانب العجائز، يبحلق فينا وفي من حوله، ولا يدندن غير آبه بمعزوفة مويجات البحر..

ما علينا ليس هذا هو موضوع حديثنا اليوم، بل هو عن صاحبنا الذي تمكن من قطع البحر والوصول إلى بر الأمان؛ إلى القارة العجوز ويقطينته على رقبته سالمة معافاة أقصد رأسه، بينما نحن ذوي الرؤوس الممتلئة، بقينا نميل ميل السنابل مع هبات النسيم، طربا لهذا المغني أو لتلك المغنية، نتباهى بالكم الهائل من الأغاني التي نخزنها في رؤوسنا العامرة..

ما علينا ليس هذا هو موضوع حديثنا الساعة، بل هو عن صاحبنا صاحب اليقطينة، الذي ما إن مسّك الله عليه هناك، عاد إلى أرض الوطن بصيد ثمين ومغانم كثيرة: سيارة فارهة وبخشيش وهدايا كثيرة لأقاربه، من العلك حتى الفستق وهلم هدايا..

ما علينا ليس هذا هو موضوع حديثنا اللحظة، إنما حديثنا عن اليقطينة الذي أصبح حتى هو يدندن ويغني ويقطينته تترنح فوق رقبته؛ لكنه لم يخزن فيها سوى مقطع صغير من أغنية يتيمة، وبطريقة محرفة عن المقطع الأصلي :

الهيه وهنا..

الهيه خير من هنا..

فنسارع نحن أصحاب الرؤوس العامرة إلى تصحيح الخطأ:

أصاحبي قل :

هنا ولهيه..

هنا خير من الهيه..

فيرد هو معتدا بيقطينته:

الهيه وهنا..

الهيه خير من هنا..

28 غشت 2017

صلاة في حضرة السمراء

أدركتني الصلاة في مارينا، في مكان بعيد عن المساجد ولم أجد بدا من ولوج المقهى للسؤال هل من مكان لأداء الصلاة؛ وقبل أن أطرح السؤال على النادل، لفتت نظري فتاة بنت قارتنا السمراء ملفعة بزيها القشيب الإفريقي وهي تركع وتسجد مستغرقة في الصلاة، فانتظرت حتى فرغت من صلاتها وتقدمت نحوها على استحياء، فسألتها إن كان ممكنا أن أصلي هنا؟ ردت بإماءة من رأسها أن نعم، ثم سلمتني السجادة وهي توضح لي اتجاه القبلة؛ وبعدما سويت السجادة قالت لي :كومصا سي بون .comme ça c'est bon حمدت الله وشكرته على نعمة الإسلام التي جمعتني بهذه النعمة الإفريقية في بلده الأمين هذا، وشرعت في الصلاة مطمئن البال، مفعما بالإيمان، أركع وأسجد وأسبح في خشوع حتى السلام، ولم أنس بنت قارتي السمراء من خالص دعائي

لها بالخير والتوفيق، في عملها بهذه المقهى في بلدنا المضياف. لكن وأنا أطوي السجادة و أهم بإعادتها لصاحبتها التي كانت جالسة خلف المنضدة، ترددت في تسليمها السجادة فلا الزي الإفريقي هو الزي، ولا سكينة الإيمان هي السكينة التي كانت تغمر محياها، إذ أنا أمام وجه صارم ينم عن حزم صاحبته، يستظل تحت تسريحة شعر كأغصان الباوباب، سلمتها السجادة شاكرا إياها على جميلها قائلا: ميرسي، كومسا سي تري بون merci .comme ça c'est très bon

28 أكتوبر 2017

كلام موظفين لاغير

رأيته في محطة الطاكسيات يتأبط أكياسا مقعيا على الرصيف، ملامح وجهه المكدود تشي؛ أنه أحد اثنين: إما مزارع صغير، وإما عون فلاحي. كان يبدو متوترا أو قلقا، لعله يخشى أن تشرق الشمس عليه، وهو ما يزال مقعيا على رصيف المحطة متأبطا بعض الأكياس ومفترشا بعضها والتي يجب أن تكون فاغرة أفواهها تحت أشجار تزدرد حبات الزيتون حفنة حفنة، بدل أن تكون مفروشة على الرصيف، تقاوم البرد عن مؤخرته.

حدث أن عبر عن قلقه هذا بسؤاله السائق:

– هل من ركاب آخرين غيري؟

كان رد السائق أبرد من الرصيف:

– لا أحد سواكما، وهو يشيح بوجهه عنه ملتفتا إلي.
كلما لمح شخصا وافدا إلى المحطة انبسطت أساريره، وما إن يرى أنه ماض إلى وجهة غير وجهته، عاد وجهه إلى العبوس والانكماش، كوجه قنفذ توارى فزعا رويدا رويدا خلف جلده الشائك.

مع مرور الوقت؛ يئس من الفرج الذي يأتي من زوار المحطة، فما عاد رأسه يظهر ويختفي ولا عادت تقاسيم محياه تنبسط وتنكمش. فرج بين ركبتيه ثم أحكم بهما على رأسه، وظل واجما مستسلما لرتابة الانتظار؛ إلى أن أيقظه من شروده صوت السائق وهو ينادي هيا: اركبوا لقد اكتمل النصاب بوصول سادسكم.

و لأن في الطريق لابد من أن يحمل أحد أحدا، فقد حملنا ذو الأكياس طيلة العشرين كيلومترا، استهل حمله هذا مهندسا، فأشار بسبابته إلى حافة الطريق محذرا من خطورتها على راكبي الدراجات الهوائية والنارية: كان على وزارة التجهيز أن تعبد حافتي الطريق، وعند مرورنا بمنشأة

قيد البناء تحول إلى مسؤول في وزارة الشباب والرياضة فأشار بسبابته إلى المنشأة: هذا الذي ترونه هو مشروع بناء مدرسة لكرة القدم، أرى أن المكان غير مناسب كان عليهم أن يبنوها هناك هناك، فكاد يطيح بنظارتي، فقلت له مازحا: أتريدهم أن يبنوها فوق أرنبة أنفي؟ أجاب لا بل هناك فوق تلك التلة. ولما تراءت لنا من بعيد بضع رافعات البناء حول سبابته نحوها حتى اصطدمت بزجاج السيارة: أما هذا الذي كاد يشرف بناؤه على النهاية فهو السجن المدني، ثم التفت إلى السائق من خلف رقبتي، ليقول له: السجن أيضا ليس هذا هو مكانه المناسب، كان على المسؤولين أن يشيدوه في مكان آخر غير هذا، سألته: أين تريدهم تشييده؟ حدّجني بنظرة ارتياب فقال: تحت الأرض. تدخل واحد من الجالسين في الخلف: ماكان عليهم أن يفكروا في بنائه أصلا؛ لو كانوا يريدون بهذا الشعب خيرا. قاطعه حاملنا الذي غير جلده مرة أحرى ليصبح مندوبا عاما لإدارة السجون: السجن

مدرسة إذا أعددتها.. وقبل أن يكمل كلامه، صححت له زلته، لكنه أصر على اعتبار السجن مدرسة وليست الأم رغم أنوفنا وأنف حافظ إبراهيم. قاطعه شخص آخر غاضبا: الشعب يريد مستشفيات، ومدارس، ومعامل، وخبز، يكفيه سجنا البطالة التي تعيق حركته حتى داخل حومته، بل حتى داخل ثيابه، يكفيه لعبا، بأن صار كرة تتقاذفها أرجل المخزن!

لما أحس مني ميلا لصاحب الرأي الصادر من الخلف، نظر إليّ شزرا قائلا: الحكومة أدرى بمصلحة الشعب، أما ما تقولونه أنتم مجرد كلام، كلام موظفين لا غير..

نونبر 2019

لا جواب

صبيحة هذا اليوم وأنا أستقبل تلامذتي وأحاول تكسير جدار التوجس بيني وبينهم؛ لاحظت انعدام تجاوبهم معي بشكل عفوي.

– من منكم يتمنى أن يكون طبيبا؟

لا جواب.

– من منكم يفكر في أن يكون مهندسا؟

لا جواب.

– من يرغب أن يكون معلما؟

لا جواب.

– من يحلم أن يكون طيارا؟

لا جواب.

– هل تناولتم فطور الصباح؟

– نااااااعم.

فأسررتها في نفسي:

– ياعفاريت؛ أؤنبئكم فيما تفكرون وبما تشتهون؟

– نااااعم.

– تريدون طي المسافة لتصبحوا برلمانيين، تقررون وتشرعون؛ أليس كذلك؟

– نااااعم.

– حسنا واصلوا عملكم..

– حاااااضر أستاذ.

5 شتنبر 2018

منك نستفيد.

بعد الحنحنة والبسملة والحمدلة وهلم حولقة، شرع الخطيب منتصبا يخطب فينا:

– يعاني الناس من مشكل عويص!

– ما هو هذا المشكل العويص الذي يؤرق الناس يا حضرة الإمام؟

– إنه عدم الخشوع في الصلاة؛ كثير من المصلين يشتكون من عدم خشوعهم في صلاتهم وهذا هو موضوع خطبتنا. كنت أود أن أسرّ للجالس إلى جنبي بشيء ما له علاقة بالموضوع، غير أن عصا الإمام حالت دون ذلك وهي تضرب بقوة على أرضية المنبر.

– هل تعلمون أيها المصلون لماذا لا تخشعون في صلواتكم؟

– منك نتعلم.

– هل تعلمون لماذا لا تقشعر أبدانكم في الصلاة وأنتم قائمون راكعون وساجدون؟

– قلنا لك منك نستفيد.

– هل تعلمون أيها المصلون لماذا لا تغرورق عيونكم بالدمع الهتون؛ وأنتم تتلون القرآن، أو تكبرون، أوتسبحون؟

– يا سيدي سلمنا لك أمرنا هيا أخبرنا بما فتح الله عليك، فالباعة الجائلون يتلهفون للجواب؛ قبل أن تلوي أشعة الشمس أصابع الموز، وتمتص ماء البرقوق، وتحيل العنب زبيبا.

– إنها المعاصي يا سادة هي التي تصد الخشوع من الولوج إلى قلوبكم.

– لا ليست المعاصي وحدها المسؤولة عن هذا المشكل العويص. (همست في أذني جاري).

– من المسؤول إذن؟

– المسؤول الخطير هي فواتير الماء والكهرباء، وأقساط البنك الطويلة الأمد، والمواعيد الطبية البعيدة الأجل، وأحكام القضاء القاسية جورا.

– إنها المعاصي أيها المصليان هي التي جعلتكما تتناجيان، لقد لغوتما؛ ومن لغا فلا جمعة له.

23 غشت 2019

صيد ثمين

جهز صاحبي راحلته، وتوجه بها نحو البحر، وكله عزم وإصرار على أن يصطاد هذا اليوم، قصة قصيرة جدا غاية في الطراوة، ما إن بلغ مقصده، حتى أخرج من جرابه رواية ضخمة، ثم ثبتها في الصنارة، وألقى بها في الماء.

– يا صاح ماذا دهاك!

– كما ترى إنني أصطاد.

– لكن، ألا ترى أنك استعنت بطعم كبير على صيد صغير جدا؟

– أفدني رحمك الله، وأظلك بظله يوم لا ظل إلا ظله.

– كان عليك أن تستعين بقصة قصيرة جدا لتصطاد رواية كبيرة جدا، وليس العكس.

– نعم النصيحة بورك في رأيك.

أخرج صاحبي الرواية الموءودة من تحت الماء، نتف منها ورقة، وقام بتثبيتها في الصنارة، ثم ألقى بها في الماء، وقبل أن يرتد إليه طرفه، اهتز خيط صنارته وارتج، فأخرجها بخفة البرق ثم استدار نحوي مبتسما مزهوا بصيده الثمين، مجددا شكره لي على سداد رأيي، فإذا هو يلتقط من فمها قصة قصيرة جدا ميتة.

2018 4 6

فجر أكحل.

تبادلنا التحية والسلام، وتبادلنا الجرائد كما تبادلنا السخط والسب على الأوضاع المزرية التي تعيشها البلاد؛ تارة يسب هو وأنا أؤمّن، وتارة أسخط أنا وهو يؤمّن، ولعنّا جهارا نهارا تجار الدين، وتجار المزابل، وتجار المبادئ الذين يتاجرون في المعاطف الحزبية.

فجأة؛ نظر إليّ متفحصا، مستعينا بفراسة زرقاء اليمامة، بعدما خابت قراءته للون قشابتي فسألني:

– حضرتك؛ أنت يميني أم يساري؟

– سيادتك أنت ضرير؟

– لماذا؟

– فأنا منذ الفجر الأكحل وأنا جالس أمامك؛ لا عن يمينك ولا عن يسارك!

غشت 2016

شيء يستحق الذكر.

قال لي متبرما متذمرا وهو يبحلق في صحيفته الزرقاء:

– أما من شيء جميل في هذا البلد الأمين يستحق الذكر؟ لا تفعل أنت مثلهم اكتب شيئا جميلا عن وطنك وأهله.

– سأفعل ما تؤمر، ستجدني إن شاء الله من الصابرين.

– هيا توكل على الله!

– عليك بالصبر يا وطني.

– اكتب شيئا أجمل من هذا.

– اصبر صبرا جميلا يا وطني.

– أريد شيئا أجمل من هذا.

– الصبر مفتاح الفرج يا وطني.

– شيئا آخر أجمل بكثير من هذا.

– إنما للصبر حدود يا وطني؛ وهذا فراق بيني وبينك.

2 يوليوز 2018

الفهرس

كيل بعير	07
سيلفي	11
أفراح	15
محض خيال	21
دوباج	27
ليتني كنت شاعرا	29
نصيحة	31
لماّا تكتب	35
هذا فراق بيني وبينك	41
حراك	45
أبوعرف ملكي	51
موطئ حبة بن	61
يقطينة	67
صلاة في حضرة السمراء	71
كلام موظفين لا غير	73
لا جواب	77
منك نستفيد	79
صيد ثمين	83
فجر أكحل	85
شيء يستحق الذكر	87